الجدليات الست في القضية الفلسطينية أمام وقف حرب الإبادة

23 ابريل 2025

د. وائل شديد

رئيس مركز القيادة والدبلوماسية

تثبت القضية الفلسطينية والصراع مع الاحتلال الصهيوني الاستعماري مجموعة من الجدليات المرتبطة بالقضية الفلسطينية وننتقي ستة من هذه الجدليات لنستعرضها في هذا المقال لتكون تمهيدا لخارطة طريق مقترحة لوقف حرب الإبادة الاجرامية التي ينفذها الصهاينة مدعومين من الغرب والولايات المتحدة الأمريكية. إن هذه الجدليات يثبتها ويؤكدها الوضع الحالي الناجم عن حرب الإبادة الاجرامية للشعب الفلسطيني سواء التي ظهرت كجدليات جديدة أو قديمة أكدت عليها حرب الإبادة هذه وطوفان الأقصى.

الجدلية الأولى: أن العمق الاستراتيجي العربي والإسلامي كان وما وزال هو القاعدة والمحرك الجيوسياسي والاستراتيجي في تحرير فلسطين من الغزاة على مدى التاريخ. سواء من اللحظة الأولى لفتح فلسطين الذي تم على يد العرب أيام الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، واستلام مفاتيح القدس وضم فلسطين للأمة العربية الإسلامية. ومن بعدها في حركة التاريخ جاء تحرير فلسطين من الغزاة الصليبيين حيث مهد آل زنكي وهم من العرق التركي لصلاح الدين وهو من العرق الكردي الذي استخدم جند الشام ومصر والعراق وهم من العرق العربي لتحرير فلسطين من الاحتلال الصليبي. وما أشبه الماضي الصليبي بالحاضر الصهيوني حيث اجتمعت في الماضي قوى الغرب متكاتفة على احتلال فلسطين، واليوم يجتمع الغرب مع اليهود الصهاينة لذات الهدف ودعم هذا الاحتلال.

هكذا هو تحرير فلسطين لا يتم إلا من خلال عمقها الاستراتيجي العربي والإسلامي. وبالتالي فإن هذه الجدلية تفترض أن مسئولية التحرير الكبرى تقع على عاتق العمق الاستراتيجي العربي والإسلامي لفلسطين، وأن الشعب الفلسطيني يبقى رأس الحربة ومشعّل روح المقاومة وهم شعلة المقاومة في الداخل الفلسطيني لحين تهيؤ الظروف الجيوسياسية المناسبة للتحرير.

لقد وعى الغزاة على مر التاريخ هذه الحقيقة فعملوا وما زالوا يعملون حاليا على اضعاف العمق الجيوسياسي لفلسطين واغراقه بالمشاكل والمتاعب السياسية ليبقى ضعيفا عاجزا عن خلق حالة التحرير. وما وضع العمق الاستراتيجي لفلسطين هذه الأيام عنا ببعيد حيث الظروف الجيوسياسية السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة والمعقدة في العراق والأردن وسوريا ولبنان ومصر تكبل هذا العمق من التحرك نحو تشكيل نواة لتحرير فلسطين. وبالتالي يبقى احتلال فلسطين هو أس المتاعب الجيوسياسية لهذا العمق الجيوستراتيجي وهو ذاته أس النصر والتمكين والاستقرار له.

الجدلية الثانية: وهي أن الشعب الفلسطيني شعب محارب ولاّدٌ للمقاومة، عنيد لا يقبل الاستسلام وبقدر ما أن اليهود الصهاينة بلاء له فهو في ذات الوقت بلاء لهم أيضا. مما يعني أن هذا الشعب يولد مقاومة تلو الأخرى إذا

ما لم تحقق أهدافها. لقد ولّد هذا الشعب مقاومة تلو الأخرى وهكذا حتى يتهيأ العمق الاستراتيجي للتحرير. منذ 1920 والشعب الفلسطيني يقاوم وكان على رأس ذلك موسى كاظم الحسيني شيخ الحركة الوطنية الفلسطينية الذي استشهد عام 1933، ثم يظهر عزالدين القسام السوري المولد ويستشهد عام 1935، ثم يتبعه عبدالقادر الحسيني ابن موسى كاظم الحسيني فيستشهد بعد الخذلان العربي له في معركة القسطل عام 1948، ثم تظهر المنظمات الفلسطينية في الستينات والسبعينات لتقود مشهد المقاومة مثل فتح والجبهة الشعبية وغيرها، حتى إذا خبت شعلة المقاومة جاءت الانتفاضة الأولى عام 1987 وتليها الانتفاضة الثانية عام 2000 ، وتظهر المقاومة الإسلامية عام 1987 لتستلم حصتها من راية المقاومة وعلى رأسها حماس والجهاد.

هذه الجدلية تفترض أن المقاومة هي وسم الشعب الفلسطيني بأكمله وليست وسما مخصصا لفصيل مقاوم بعينه. مما يعني أنه لا ينبغي لفصيل مقاوم أن يُحمّل نفسه عبء المقاومة لوحده أو أن يتحمل مسئوليتها التاريخية أو يثقل نفسه لوحده بتبعات المقاومة وثمنها الباهظ بطبيعة الحال. أو يعتقد أن فكر المقاومة ستنتهي بضعفه. بل هي مسيرة شعب عنيد جبار تنتقل المقاومة فيه من جيل إلى جيل، وهذا ما يؤرق الاحتلال ومناصريه ويثير جنونهم، فالمقاومة فكرة لا تموت.

الجدلية الثالثة: إن مسئولية العمل الوطني في داخل فلسطين هو مسئولية جماعية للكل الفلسطيني، وليس مسئولة جهة واحدة تقرر في مصير الشعب الفلسطيني وقضيته. لقد شكلّت منظمة التحرير الفلسطينية في السابق شكلا جمعيا تم الاعتراف بها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وأصبح المجلس الوطني الفلسطيني مرجعا للشعب الفلسطيني بحكم الواقع مما اضفى عليه الشرعية الوطنية. وبالتالي كان المجلس الوطني الفلسطيني والميثاق الوطني لعام 1968 هو المرجع الوطني للكل الفلسطيني. ظل هذا الواقع قائما ومقبولا وطنيا لحد كبير حتى اتفاقية أوسلو وظهور كيان سياسي جديد اسمه السلطة الفلسطينية التي تغولت لاحقا على منظمة التحرير ومجلسها الوطني مما أفقد الشعب الفلسطيني الشرعية الوطنية الجامعة.

صحيح أنه ظهر في الطريق المجلس التشريعي المرتبط بالسلطة الفلسطينية وأوسلو لكنه ظل قاصرا عن تمثيل الكل الفلسطيني في الخارج والداخل، ثم فشل في الاستمرار ولم يستطع المجلس التشريعي أن يجاري الدور الوطني الجامع للمجلس الوطني الفلسطيني.

وهذه الجدلية تفترض أن الشعب الفلسطيني الآن وبسب اغلاق منظمة التحرير واغلاق المجلس الوطني الفلسطيني وتجميد دوره لم يعد للشعب الفلسطيني مرجعية وطنية جامعة كما كان في السابق. وتفترض هذه الجدلية أيضا أنه لا يستطيع أي فصيل فلسطيني أن يقوم بهذا الدور وحده (أي دور تمثيل الكل الفلسطيني)، أو أن يقرر لوحده مصير الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية سواء كقضية وطنية مجتمعة كلية أو متفرقة في الضفة أو غزة أو الخارج. وليس من مصلحة أي فصيل فلسطيني أن يتحمل أصلا هذا العبء الضخم لوحده، عوضا عن أنه غير مقبول وطنيا مالم يحصل على الاجماع الوطني من كامل الشعب الفلسطيني.

إن الضغوط السياسية والاقتصادية والجيوسياسية والاستراتيجية أكبر بكثير من مقدرات أي فصيل لوحده، وقد أثبتت التجربة عجز أي فصيل عن إدارة الشأن الفلسطيني حتى في منطقة جغرافية بعينها، بل إن الانقسام الفلسطيني (المرفوض شعبيا) سببا قاتلا في وحدة الصف ومواجهة الاحتلال.

إن انقسام الشعب الفلسطيني وتوزعه جغرافيا نتيجة الاحتلال إلى أربع أقسام: الضفة الغربية وغزة ومناطق ال 48 والخارج، جعل من تمثيل الكل الفلسطيني أمرا معقدا يحتاج إلى جهد وطني جبار ومبدع لحل هذه المعضلة. كما تُبين هذه الجدلية أن الشعب الفلسطيني بعد تجميد منظمة التحرير ومجلسها الوطني لم يعد قادرا منذ اتفاقية

أوسلو إلى الآن على تشكيل حركة تحرر وطني جامعة وظلت الأمور تُسيَر من قبل الفصائل الفلسطينية خصوصا الفصيلين الرئيسيين.

الجدلية الرابعة: وهي المتعلقة بحجم التواصل العالمي والشعبي الهائل نتيجة وسائل التواصل الاجتماعي التي تنقل الأحداث في كثير من أحيان قبل وكالات الأنباء ومحطات التلفزة. إن هذا التواصل الشعبي السريع والهائل يولد عواطف جياشة لدى الجمهور قد يدفع بشكل مباشر أو غير مباشر باتجاه التأثير على التوجهات الاستراتيجية والسياسية للمقاومة أو للمؤسسات المعنية أو حتى الأنظمة الحاكمة سواء بطريقة سلبية أو إيجابية.

وتفترض هذه الجدلية أن العواطف تدفع باتجاه التحيز لتوجه معين ودعمه والتهليل له، وفي المقابل الوقوف ضد أي توجه آخر يخالف هذه العاطفة، وبالتالي الابتعاد عن معرفة الحقيقة والواقع والانحسار في منظور واحد ورؤية الأمور من خلال زاوية واحدة وليس من منظور شمولي كما ينبغي للقيادات أن تفعل.

كما تفترض هذه الجدلية أن القيادات تحدد النسق والسمت الاستراتيجي والسياسي لها حسب العوامل المؤثرة في بيئتها الداخلية والخارجية، وحسب تفاعلات الفرص والتهديدات والإمكانات والتحديات، ومن ثم وبعد ذلك تدعمها بالعاطفة التي يأتي دورها هنا للدفع نحو السمت الاستراتيجي الذي تم تحديده بعقلانية. وبناء عليه، فإن هذه الجدلية تفترض أيضا أن العواطف الشعبية لا تؤثر على اتجاهات اتخاذ القرارات سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وأن القيادات تأخذ في عين الاعتبار العواطف في كيفية تكييف القرارات التي تراها صائبة وواقعية وتخدم المصلحة الوطنية.

الجدلية الخامسة: وهي أن المقاومة وحركات التحرر في كل العالم تقوم بمهمة وطنية كبرى وهي مقاومة الاحتلال للوصول إلى التحرر من الاحتلال، وبالتالي فإن من صميم مهمتها هو حماية شعبها والدفاع عنه للوصل إلى حالة التحرير من الاحتلال بمعنى الاستقلال الوطني وهذا باعتماد الشرعية الدولية حسب اتفاقية جنيف. لكن هذه الجدلية وُضعت تحت الاختبار القاسي في فلسطين بعد طوفان الأقصى، حيث أن الاحتلال المجرم عمد على شن حرب إبادة جماعية مدمرة في غزة ودمرها لتصبح غير صالحة للحياة، كما يقوم بنفس التجربة في الضفة الغربية وتشريد أهل المخيمات والعمل على ضم الضفة لدولة الاحتلال. إن حرب الإبادة هذه والتواطؤ الغربي الاجرامي والخذلان العربي الرسمي المخجل والحصار الاجرامي وضع المقاومة لأول مرة في نقطة انعطاف حرجة جدا. فإما استمرار المقاومة التي أبهرت العالم بصمودها وصمود شعبها الأسطوري في غزة، وإما إبادة شعب بأكمله وأطفاله ونسائه وبناه التحتية في أبشع صور الاجرام التي يشهدها العالم بالبث المباشر منذ مئات السنين.

هذه الجدلية الحديثة تفترض أن للمقاومة بعد هذا التواطؤ والخذلان والابادة الحق في اتخاذ ما تراه مناسبا من أجل وقف هذه الإبادة القصرية الاجرامية بالحد الذي تقبل به، وأن الشعب الفلسطيني ونخبه الوطنية والجمهور العربي والإسلامي يقدّر موقف المقاومة بغض النظر عن طبيعته ويؤمن لها شبكة الأمان. فالمقاومة حققت أهداف كبيرة جدا منها على سبيل المثال لا الحصر أنها قلبت الموازين العالمية على المشروع الصهيوني، والصحوة الشبابية العالمية من ركام تأثير الاعلام الصهيوني العالمي، وتزايد التأييد العلني من قبل العديد من الحكومات والاعتراف بالدولة الفلسطينية، وانقسام المجتمع الإسرائيلي على نفسه، وقرارات محكمة العدل الدولية وتجريم محكمة الجنايات لنتنياهو، والدعم الشعبي العربي والإسلامي والعالمي وغير ذلك الكثير.

الجدلية السادسة: وهي أن الشعوب التي تحت الاحتلال لها حق المقاومة حسب الشرعية الدولية واتفاقية جنيف، وأن الاحتلال يتحمل المسئولية الكاملة عن كل الجرائم التي يرتكبها في حق الشعب الذي يحتله. وبناء عليه، فإن الاحتلال الإسرائيلي يتحمل كل المسئولية عن جرائمه ضد الشعب الفلسطيني الذي له حق المقاومة وفق اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب المؤرخة في 12 أغسطس وخصوصا المواد 47-78.

وبناء عليه فإن الاحتلال يتحمل مسئولية القتل والدمار ومسئولية إعادة البناء والاعمار وما يترتب على ذلك من تكاليف.

إن هذه الجدليات الست ممكن أن تشكل قاعدة وإطار مفاهيمي استراتيجي سياسي لإطلاق وتأسيس مناورة فلسطينية تقودها المقاومة نحو وقف حرب الإبادة الاجرامية، وتشكيل استراتيجية تفاوض جديدة تتبعها إجراءات منسجمة. وخصوصا إذا ما تم دعمها والبناء على سنن التدافع العالمية الحالية بين الولايات المتحدة الداعم الأكبر للحرب وبين دول العالم الأخرى، والبناء على العمى الاستراتيجي لدى العدو الصهيوني الناجم عن الغطرسة والتكبر، هذا العمى الذي طالما قاده وغروره نحو ممارسات تنقلب عليه وعلى مشروعه الصهيوني.